مخترعات الطبيعة

في البدء كان الوجود المادي فضاء غير متناهٍ تسبح في حيّزه منه ضويئات (فوتونات) أثيرية ، هي أصل المادة المسماة « الهيولي الأولى » وكان هذا الحيّز الذي تشغله الهيولي متناهياً ، أي له قدرٌ معين . وأما الفضاء فلا نعلم له نهاية

والضويئات الأثيرية ذات خواص تؤهلها للتطوّر وهي : —

١ — كانت الضويئات تدور على نفسها دورة محورية

٢ — كانت كل ضويئة تجذب زميلتها أو زميلاتها . والجذب سجيةٌ فيها .

٣ — بالتالي كانت الضويئات تتجاذب وتتداور بعضها حوله بعض .

٤ — كانت بحكم التجاذب والتداور قابلة للإئتلاف بالتجمع

لولا هذه الخواص الأربع لما كان للهيولي معنى ولا وجود

٥ — لمؤتلفات الضويئات خواص جديدة غير خواص المفردات التي تتألف منها .

من ائتلاف عشرة آلاف ضويئة تكوّن الكهيرب (الالكترون) وله خاصة الكهربية السلبية . ومن ائتلاف ١٨٤٠ كهيرباً أو ما يساويها من الضويئات أي ١٠٠٠٠ × ١٨٤٠ ضويئة تألف الكهيرب (البروتون) وله خاصة الكهربية الايجابية . ومن هذا العدد نفسه تألف أيضاً المتعادل (نيوترون) وهو لا كهربية فيه وأنما فيه طاقة . هذه الجسيمات الثلاثة تسمى ذريرات

من ائتلاف هذه الذريرات الثلاث (الكهرب والكهيرب والمتعادل) تتألف الذرة الكيماوية . وأنواع الذرّات الكيماوية المكتشفة حتى اليوم ٩٢ ذرّة تختلف باختلاف عدد ما فيها من ذريرات . وتسمى الذرّات أيضاً عناصر كيماوية

التجاذب والتداور أدّيا الى التجمع العديمي . والعديم ضباب كوني دقيق رقيق . وهو

مجموعة أجرام ونجوم سماوية ، وكل جرم هو مجموعة ذريرات وذرّات متنوعة . النور والحرارة اللذان يصدران من الشُّدُم وأجرامها هي ضويئات متناثرة بتموّج وتسمى أشعة . وتناثرها في الفضاء يسمى إشعاعاً أو تشعُّعاً .

والائتلاف الذّريري الذي تتكوّن به الذرّة من الذّريرات هو أول مخترع من مخترعات الطبيعة وبداءة التطورات الكونية .

هذا التطور شامل جميع الشُّدُم والاجرام على الاطلاق

التطور الكيماوي

للذرّات حراص التجاذب والدوران كأجزائها الذّريرات التي تؤلف منها . ولها ضربٌ من الائتلاف يرتفع عن ائتلاف الذّريرات يسمى إلفة كيمية . وبه تتألف جزيئات Molcules عن الذرات الكيماوية كجزيئات الماء والحوامض والأملاح والكربوهيدات (الغرويات) على اختلاف أنواعها المتعددة . وليس هنا محل لتفسير الائتلاف الكيماوي . وقوة الائتلاف الكيماوي بين الذرّات تتفاوت بحسب عدد الذّرات التي في كل ذرّة منها بسبب قوة التجاذب بينها . فالكهارب والمتعادلات متجمعة في وسط الذرة ويسمى مجتمعها نواة . والكهيربات تدور في مدارات (أفلاك) حول النواة بعضها ضمن بعض على أبعاد مختلفة . وقوة التجاذب بينها تتوقف على تباعد الأفلاك عن المركز (النواة) حسب قانون الجاذبية

الإلفة الكيمية اختراع ثانٍ من مخترعات الطبيعة . لم يعرف إن كانت هذه الألفة موجودة في جرم سماوي آخر .

المزايا التي حرمت لبعض الذرات

لبعض الذرات الـ ٩٢ مزايا خاصة علاوة على الائتلاف الكيماوي . كلما كان عدد الذريرات في الذرة قليلاً كان التجاذب بينها شديداً لاقتراب أفلاكها (مداراتها) المركز (النواة) كذرات الهيدروجين والهليوم والنتروجين والاكسجين والكربون والكبريت الخ لأن كهيرباتها أقرب الى المركز الذي تجتمع فيه الكهارب . وهو معلوم من ناموس الجاذبية أن الجذب يشتد حسب القرب من المركز . وكلما كان عدد الذرات في الذرة الواحدة كثيراً كان التجاذب بين الذريرات ضعيفاً لبعد أفلاك البعيدة منها عن المركز . واليك المزايا :—

(١) لهذا السبب الذرات العليا العديدة الذريرات في جدول الذرات [1] تتناثر منها الذريرات المتطرفة وينفرط عقدها الى فوتونات (ضويئات) بسبب ضعف قوة الجذب فيها الى المركز . وهذا التناثر يسمى اشعاعاً أو تشععاً Radiation كاليورانيوم والإكتنيوم والثوريوم والراديوم، خلافاً للذرات السفلى في الجدول كالتي ورد ذكرها آنفاً من الهيدروجين فما فوق . فهذه لا تشع ذريرات ولا ضويئات يُشعر بها ، لتماسك ذريراتها بقوة الجذب كما سبق التنويه . هذه هي المزية الأولى لنوع من الذرات أي الاشعاع .

(٢) المزية الثانية ان لبعض الذرات التي في وسط الجدول قوة جذب غير الألفة الكيميية تسمى مغنطيسية وهي ذرات الحديد المغنطيس والنكل والكوبلت . والحديد أشدها مغنطة ١٠ مرات كمغنطة الآخرين . فالمغنطيسية اختراع ثالث من اختراعات الطبيعة

والكهربائية التي هي تيار الكهرباء الجاري في السلك النحاسي هي اختراع ملحق به لما بينهما من تفاعل — المغنطيس يولد تيار كهرباء في السلك الملتف حوله . والتيار الكهربائي في سلك حول الحديد يمغنط الحديد .

(٣) في أسفل جدول العناصر المشار اليه آنفاً مزية ثالثة لأربعة عناصر (ذرات) خطيرة الشأن لنشوء الحياة من اتحادها وهي الكربون والهيدروجين والاكسجين والنتروجين

أهمها الكربون وهو العنصر الذي لا يخلو منه جزيء مؤلف من عشرين ذرة على الأقل. وقد تبلغ الجزيئات الحيوية التي يسمونها الجزيئات العضوية Organic الى خمس مئة ذرة فأكثر كالمواد الزلالية .

الكربون هو العنصر الوحيد الذي تتفاوت فيه وحدات ذرات العناصر الثلاثة الأخرى المؤتلفة معه في الجزيئات الكبرى التي نحن بصددها . لهذا السبب يحسب الكربون عمدة الخليات الحيوية من نباتية وحيوانية في حين انه لا بد من وجود اوكسجين وهيدروجين معه في الخليات الحيوية ولا بد أن يوجد فيها النتروجين أيضاً .

(١) جدول العناصر الكيميائية مرتب بحسب عدد الكهربات في الذرات . فالرقم الاول هو الهيدروجين لان فيه كهرباً واحداً والرقم ٩٢ هو اليورانيوم لان فيه ٩٢ كهرباً . والارقام التي بين الواحد والـ ٩٢ هي العناصر بين الهيدروجين واليورانيوم بالترتيب

النتروجين عنصر جوهري للحركة في الخلايات والأجسام بسبب انه يأتلف وينحل بالتواتر كثيراً في الجزيئات لانه ضعيف الألفة الكيميّة (السبب ذروي ليس هنا محل شرحه) ولهذا هو العنصر الجوهري في المواد القابلة للافرقتاع والانفجار كالديناميت .

الحياة

في بعض هذه العناصر الأربعة نشأت الحياة في مواد هلامية جلائينية Colloidal تكونت كيماويًّا من تلقاء نفسها تحت عوامل الطبيعة الموجاء . تكونت في خلايا ميكروسكوبية فردية كالجراثيم الأولى في المياه والمستنقعات ثم تحولت الى جسيمات كالفطريات والطحلبيات والطفيليات والهوام والحشرات وأجسام النباتات والحيوانات الخ .

الخليات الحيوية ليست مجموعات من جزيئات فقط ولا هي مركبات كيموية وحسب بل هي وحدات خلوية حيوية تربط أجزاءها بعضها ببعض القوة الحيوية التي فيما بينها . فهي نوع من التجاذب الحيوالاني يختلف عن تجاذب الذرات في الذرة وعن الألفة الكيميّة في الجزيء . هي نوع من التجاذب أعلى شأناً من هذين .

ان هذا الترابط الحيوي بين جزيئات الخلية الواحدة لا يزال سرًّا غامضاً تحت بحث العلماء . وقد سماه بعض العلماء أو سمّى العامل فيه « الحماس الحيوي » Elan Vitale وفي نظري الضعيف انه ما خرج عن كونه عملاً كيماويًّا خاصًّا غريباً . وعبارة الحماس الحيوي أبقت أمره سرًّا غامضاً فلم تفسره .

الحياة هي الاختراع الرابع من اختراعات الطبيعة .

تمتاز الحياة على الجماد بالولادة والنمو والتوليد والموت والحركة . بهذه المزايا تضمن نموّها واستمرارها . كلما تقدمت في الزمان ازدادت تنوُّعاً . وهذا التنوع يفضي الى التزاحم فالتنازع فالتغير . وهو التطور .

الجديد من الأحياء يختلف اختلافاً كليًّا عن القديم منها . فهو أكثر تعقداً وأوسع انتشاراً . في مضمار التنازع يُبيد الجديد القديم ويحل محلّه .

معمل الحياة الكيماوي مستمر في التوليد والتجديد بلا انقطاع . ولهذا نرى الأحياء الأولية تعيش معاصرة للأحياء العليا كأنها لا تبالي ان تنصرع في النزاع معها . ومنها

ما تعيش فيها طفيليات . أعني أن الطبيعة لا تكف عن انشاء الحياة وتوليد الطاقات المادية من المتجمعات الغروية في المستنقعات . ولكن الأحياء السابقة المتركزة المستنبة تتفجر ولا تدع لها سبيلاً للتطور والارتقاء إلاّ نادراً جداً . ويغلب أن لا يعيش جديد من الأحياء إلاّ طفيليات في كنف أحياء مستنبة محتمية بها كالجراثيم المرضية .

أهم مخترعات الطبيعة في عالم الحياة انها تجعل من عاصلات الطفيليات عوامل (محوم) قاتلة لها حرصاً على بقاء الاحياء المستنبة . ولولا هذه الخاصية لما أمكن استخراج الأمصال واللقاحات

هكذا نشأ في سلم الأحياء الانسان سيدها جميعاً .

الحياة هي كجذع شجرة في الطبيعة تفرّعت منها فروع شتافة من مخترعات الطبيعة هي :

١ — الغريزة .

٢ — العقل — الشعور ، التصور ، التذكر ، الاستدلال .

٣ — الاجتماع — المجتمع ، السلطة ، السياسة ، الاقتصاد ، الشريعة .

٤ — الروح .

٥ — الكهانة — الالوهية ، الديانة ، الفن .

٦ — الضمير — أدب النفس .

٠٠ — ثم ماذا

الغريزة

هي فابض داخلي لعمل جسماني من غير تعقل ولا اختيار ولا داعٍ معقول .

الغريزة شاملة جميع الاحياء من أدناها ذوات الخليات المفردة إلى أعلاها الحيوان فالانسان . أدنى الخليات الجرثومية تأخذ من محيطها غذاءها وتنبذ ما سواه .

جرثومة الاميبا Amoeba إذا اصطدمت بذرة جامدة كذرة حياة إنكمشت وامتدت قنواتها من ناحية أخرى . ولكن إذا لامست جرثومة داي أتوم Diatom مثلاً تكيفت عليها وطوتها إليها بما ينتوء منها من نواتئه والتهمتها وهضمتها . الداي أتوم جرثومة تنتمي إلى قصيلة طحلبية تسمى خزّ الماء أو حلفنة (رخصة القوام جداً) .

فالشيء الذي في الأميبا يميز بين الداي آوم والذرة الجامدة هو الغريزة . كيف ؟

ومن أمثلة الغريزة ان الخلية الحية المفردة متى بلغت الى حجم معين تنقسم الى جرثومتين كل واحدة منهما كالأم الأصلية طبيعةً تفعل هذا بحكم الغريزة . والطير الذي عشه ويهاجر من بلد الى بلد بحكم الغريزة.

الطفل الرضيع وهو خالٍ من التعقّل إذا لمست شفتاه ثدي أمه جعل يمتصه بحكم الغريزة . ونحن بحكم الغريزة نمشي الى الأمام باتجاه نظرنا لا الى الوراء . وشعة الطعام بسبب ان الشعور يحرّك عضلات الفكين . جميع الأفعال التي نفعلها بغير اختيارنا كالتنفس ونبض القلب هي من قبيل الغريزة .

ما الذي جعل سيقاننا وركبتنا لا تتحرك إلا للأمام لكي تسهل الحركة لغريزة المشي ؟ وما الذي جعل شفتي الرضيع تنطبقان على الثدي من أول يوم لكي تكون تلك عادة غريزة ؟ بعبارة أخرى ما الذي يوجه الغريزة في عملها ؟

يوجه الغريزة عضو الحركة في الجرثومة وفي العضو المختص في الحيوان ؟

المائع (البلاسم) في الأميبا مثلاً يميل بفعل الحماس الحيوي Elan Vitale الى ناحية فيلتوي فيها عندما تثيره . فاذا صدم جسماً رخصاً ليّناً كالداي آوم امتد حذا الشيء وانطوى جسم الأميبا عليه وأدخله فيه .

بأي إلهام يفعل هذا ؟ لا ندري . فنقول بإلهام الغريزة . وتبقى الغريزة سرًّا يبحثه أهل العلم .

هذا سرٌّ عجيب اخترعته الطبيعة وحفظته لنفسها . ألكي تحيرّ به البشر اخترعته وكتمته ؟ . هل نكتشفه في المستقبل ؟

الغريزة هي الاختراع الخامس من مخترعات الطبيعة

في الجمادات شيء يشبه الغريزة . هو البلور . تتكوّن البلورة في جسم محدود وشكل هندسي معين . فمتى بلغت الى الحجم والشكل المعينين توقفت عندهما كأنها تترك الشأن لبلورات أخرى .

كلما تطوّرت الغريزة وارتقت تحوّلت الى عقلية

العقل

نشأ العقل برعمة في غصن الغريزة ولكنه بسق منها عالياً جداً . فكان هو يشمخ وهي تضؤل الى أن أصبحت كأنها أثرية في الأحياء العليا .

لا ندري متى صارت الغريزة في سلّم الأحياء تُعدُّ عقلاً . بل يصعب جداً أن نميز بين العقل والغريزة أو أن نحكم عند أية درجة افترقا . والظاهر لنا أنهما لا يفترقان . لا غنى عن الغريزة الى جانب العقل حتى في أعلى الأحياء . بهما اعتمدنا على العقل . معظم الأعمال التي نعمل بغير تفكير هي غريزية كتذبذب المقلتين في محجريهما لتسديد الرؤية . وكتحريك الجفون لتنظيف المُقَل . وكتوازن الجسم في الوقوف .

العقل في عرف العلماء هو مجموعة القوى العقلية . وأبرزها الشعور والتصوُّر والتذكر والاستدلال . كل هذه نشأت طالة على الغريزة ثم جعلت تمايز بمقتضى الحيثية

ولكن ما هي هذه القوى ، هل هي أعضاء ذات وظائف في جسم الانسان ؟ هل لها ذاتية أو ذاتيات قائمة بنفسها — كلاّ فما هو العقل إذن ؟

العقل فعل من أفعال الدماغ ليس ذاتية قائمة بنفسها . هو فعل من أفعال الخلايا الدماغية ، كما ان الضحك من أفعال فكي الضاحك . والمشي فعل من أفعال رجلي الماشي . العقل وظيفة من وظائف المراكز الدماغية العديدة التي تقوم بها ملايين الخلايا كما هو معلوم فسيولوجيّاً

والأرجح أن هذا العمل يحدث نبضات كهربائية سريعة في الجهاز العصبي على نظام لا يزال مجهولاً . وقد ثبت بالامتحان أن في الجهاز العصبي تياراً كهربائيّاً عقليّاً بشكل خاص أليس الدماغ مؤلفاً من ذرّات ؟ أليست الذرات مؤلفة من كهيربات ؟ . أليست هذه بنوع الكهرباء ؟ فلماذا لا يكون التعقل كهربائيّاً في خلايا الدماغ ؟

لك أن تقول ان الحوادث الكهربائية العقلية أو الأفعال الفكرية هي فيضٌ Emanations من الخلايا الدماغية كالامواج التي تنبعث من العناصر التشعشعية كالراديوم مثلاً ، وهي أمواج كهرطيسية .

العقل هو أعجوبة الطبيعة ، عجيب في قوته ، عجيب في أفعاله ، عجيب في اتساعه ، في ضخامته (خياله) . فمن الطبيعة نفسها التي لخفرته . وتتلامل بين ذراها وذرّاتها ، وبين

أجرامها وعجائبها . أخضع الطبيعة ، استقرأ تراثها ، سخّر براميلها خدمة الجسد الذي يصدره ، نظم الدائم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي . واستوى على عرش المجتمع . استنبط الخيال . وابتكر الفن واختلق الروح من الوهم وكوّن العقيدة . فابتدع الكهانة وأخيراً اصطنع الضمير .

العقل عمل كل هذه . وما كان هو إلاّ غصناً في جذع الحياة التي هي بدعة الطبيعة العجيبة . ثم صار فرعاً ضخماً باسقاً أعظم من الغصن .

أليس العقل أعجوبة الكون كله . وما هو ؟ ما هو إلاّ كتلة فنية في معمل الدماغ . فلله در الدماغ الذي يشع ذلك الحماس ، وينبض تلك القوى ، ويعكس في صفحات الوجود تلك العجائب ، ولله در الطبيعة التي اخترعته . ثم قام يتحكم بها ويتسخ عليها . « سبحانك اللهم ما أعجب أعمالك كلها بحكمة صنعت » — العقل هو الاختراع السادس .

المجتمع

لك ان تقول ان المجتمع هو وليد الغريزة والعقل معاً لانه ابتدع مع نشوء الحياة فتوالدت الجرائم متجمعة وتنوّعت أفرادها في حين كانت تتجمع . فلا بدع ان نرى كل صنف مستمرة تتجمع فيها أفراد كل صنف لحاجتين : التعاون على الحياة واتقاء الأخطار . هذه سنّة التجمع من الجرائم فصاعداً الى الانسان .

المجتمع قديم كقدم الحياة . ثم لما برز العقل جعل ينظم المجتمع تنظيماً يكفل له حيويته وبقاءه . فتفرّع من نظامه السلطة فالسياسة فالقانون ثم الاقتصاد . وكل نظام من هذه الأنظمة أصبح اليوم عالماً عظيماً قائماً بذاته معقداً كبحر خضم .

هذه الأنظمة من مخترعات العقل . وكل نظام متفرع الى أنظمة أخرى لا تكاد تحصيها حتى تجد فروعاً أخرى تفرّعت من فروع .

الروح

من بدع التمثل — التصور والاستدلال والتذكر — التي هي أم القوى العقلية نشأت الروح وكان العالم مولدها . رأى الانسان الحديث شبح أبيه في حلمه فلما استيقظ

استغرب أن يرى أباه وهو يعلم أنه مات ودفن من زمان . فكشف الرمس لكي يتحقق أن كان أبوه لا يزال فيه أو خرج منه . فاستغرب إذ رأى جيفة بالية . فحادث رفيقه في هذه الرؤيا . فقال له رفيقه انه رأى مثلها . وهكذا تحادث القوم في أمر الرؤيا . وأخيراً قال فيلسوفهم ما هذا الذي رأيتموه الا وهم في الحلم . ولكل ميت طيف يحضر على ذويه أحياناً ، وسماه روحاً . فصاروا ينسبون لهذا الروح قوة وارادة بحسب ما يبديه من كلام ووعيد ووعود . وصاروا يستعبدون أرواح الأموات الى أن جعلوا يقدسونها . وكان لأرواح أبطالهم المقام الأسمى . ومن ثم نشأت الألوهية للعبادة . والعبادة اقتضت الكهانة للقيام بخدمة المعبود وتقديمه والوساطة بينه وبين القوم الى غير هذا من مقتضيات الكهانة . والى جانب الكهانة نشأ السحر تأييداً للعقيدة بقوة الآلهة .

ولعبت الكهانة دوراً عظيماً جداً في تاريخ البشر حتى انها في أكثر الأحوال ظفرت بالسيادة السياسية والادارية . ان تاريخ مصر القديم كله تاريخ الكهانة إذ كان الملك كاهناً قبل أن يصير ملكاً . فكان كاهناً وملكاً معاً .

فنشوء الروح اختراعٌ بديع من مخترعات العقل هو سابع الاختراعات . والكهانة اختراع من مخترعات الروح وهي الثامنة . ومرجع هذه الاختراعات المتسلسلة الى فعل الطبيعة وما وقف العقل عند هذا الخيال الروحاني بل تبسط في خياله فاخترع الفن . والفن أيضاً من مبتكرات الكهانة ، لأن العبادة اقتضت اكرام المعبود وتمجيده بزخرفة معبده وتمثاله فكان هذا الاقتضاء حافزاً لصنع التماثيل والصور واجادة زخرفتها . وكذلك اقتضت صلاة العبادة الرقص والترنيم . وهذه اقتضت الشعر لنظم الترانيم

ثم إن تعليل الألوهية وأفعال الآلهة اقتضت امعان الكهنة في الفلسفة اللاهوتية ومنها امتدت الفلسفة الى تفسير الكون وظاهراته وشئونه . ومن الفلسفة نشأ العلم

فما أعظم هذا العقل وما أوسع فنن هذه الطبيعة وما أعجب اختراعاتها : الانسان الذري . ثم الحياة . ثم العقل . ثم ماذا

ماذا في طي هذه الطبيعة بعد ؟

نجيل نظرنا في أطراف فروع العقل المتفرع من الحياة الباسقة من الجماد فنرى برعمة

نوّار شرعت تنشق من زهرة بديعة . ما هي ؟

الضمير : تاسع اختراعات العقل والطبيعة وأعظمها شأناً بعد العقل

ان بقاء الاجتماع متماسكاً مضمونٌ بالعدالة . اذا لم تقم العدالة تمزّق المجتمع . العدالة هي الرابط المكين للمجتمع . هي قوة الجذب بين أفراد المجتمع كما أن الجاذبية هي الرابط المكين لذرّات الهيولي وأجرامها .

فنرى أن السلك الذي ينتظم فيه الكون أولاً وآخراً هو الجاذبية من أول نشوئه الى ما شاء الله من مخترعات الطبيعة .

العدالة اقتضتها سلامة المجتمع . فاذا اقتنع العقل بهذه الحقيقة الراهنة كان اقتناعه هذا هو (الضمير) بعينه . نرى أن الطبيعة هيأت الضمير لاقرار العدالة وانفاذها لكي يرتبط الأفراد والجماعات بعضهم ببعض حرصاً على سلامها وسلامتها وهنائها . . ولكي تستقر العدالة يجب أن يكون للضمير سلطان قدير نافذ يسيطر على الحرية ويلزم الروح والجسد والارادة أن ينفذا العدالة . كيف يستطيع هذه السيطرة ؟ ما الاعجوبة العظمى كيف يستطيع الضمير أن يتسلح بقوة ترغم الارادة والعقل على طاعته في فعل الخير ! هذه أعجوبة تاج الأعاجيب لا تزال في بطن الطبيعة . اذا أبرزتها بدأ دهر السعادة للبشر . ما أدقّه حلماً .

الضمير الآن في بدء نشوئه في الانسان . وال اليوم لا يستطيع أن يقوم بوظيفته إلاّ بمعاونة الشريعة وبسلاح القانون والشرطي والقضاء مع ذلك هذه ليست قوة جامعة مانعة لأن خُلُق الشر في الانسان لا يزال يطغى ويتملص من القانون والشرطي والقضاء . يجب أن تكون قوة التنفيذ في الضمير نفسه . فكيف يمكن هذا ؟

على العقل أن يحل هذه القضية . عليه أن يخترع أداة لتقوية الخير على الشر وأداة لتقويم الاخلاق . فاذا ترفق الى خلق أخلاق شريفة في الانسان فعل الاعجوبة التي تفوق جميع الاعاجيب . يجب أن يعرف الإنسان العدالة . انه ليعرفها جيداً . فمعرفة العدالة لا تكفي بل يجب أن تراد . فكيف يرغم الضمير الارادة على احترام العدالة . هذه مهمة الضمير والعقل الآن . في قلب الانسان شرور وأشرها الطمع . فعلى العقل أن يمحو الطمع لكي يمكّن الضمير من انفاذ حكمه . فكيف يمكن هذا ؟ وهل يمكن ؟

الضمير الآن في دور الطفولة فمتى صار ينفذ العدالة بغير سلاح يكن قد أدرك سن البلوغ . فمتى يدرك هذه السن . أبعد ألف سنة ؟ أو مئة الف ؟ أو متى . الله هو العليم .

الضمير هو تاج المخترعات . ثم ماذا بعد هذا ؟

ان الطبيعة تـوَرُ زهرة شرع يفتح فينقلب كمُّها من توسجها تدريجيًا فتبدو الزهرة أوضح فأوضح وأجمل فأجمل .

أو ان الطبيعة لفافة ينقلب ظاهرها عن باطنها طبقة طبقة فيبدو ما في جوفها طاقاً طاقاً أو قطاقاً بعد نطاق آخذاً بعضها بحاشية بعض فتظهر من بطن الطبيعة أسرارها . فبطن الطبيعة مفعم بالاسرار وفي كل دهر ينفضح سرٌّ . وآخر سرّ اجتليناه منها هو الضمير فماذا بعده ؟

* * *

لا أظن الطبيعة تقف في ابداعها عند حدّ . فماذا بعد الحياة والعقل والضمير من أعاجيب : هنيئاً لخلفائنا الذين سيعرفون الأسرار القادمة .

بقي ان نعلم ما هو غرض الطبيعة من كل هذه المهرجانات . هذا بحث آخر .

* * *

يظهر ان الله تعالى لخصّ الكرة الأرضية بوضع أسرار الطبيعة ومنشإ مخترعاتها وجعل العقل الذي هو أعظم ما ابتدعته مكمن عجائبها . ولا نعلم ان كان في الوجود المادي جرم آخر غير الأرض محظوظاً بهذا العجب العجاب . في رأي العلماء إنه ليس في النظام الشمسي سيار له خصائص الأرض . وليس في سيار آخر انس ولا جن . وفي رأيهم أيضاً انه ليس في عالم المجرّة وغيرها من المجرات نظام كنظامنا الشمسي أنتجته الطبيعة الفلكية لأن ظرف انبثاق السيارات كان صدفةً . ولا يحتمل أن يصدق هذا الانبثاق في الأكوان إلا على احتمال واحد من بليون . والله أعلم .

القاهرة فكتور الحداد